ICON-POSTALL : INTERNATIONAL CONFERENCE FOR POSTGRADUATE STUDENTS IN TEACHING ARABIC LANGUAGE, LITERATURE AND LINGUISTICS
Available online at: https://prosiding.arab-um.com/index.php/ICON-POSTALL
E-ISSN: 3032-3940, *Volume* 2, Year 2024
Postgraduate of Arabic Language Education, Universitas Negeri Malang

الظواهر السردية والحوارية في أدب الرحلة النيجيرية ": إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي "لأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا نموذجا

الدكتور عزّالدين أديتنجي
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة إبادن، نيجيريا
البريد الإلكتروني: izudeenadetunji@yahoo.com

المقدمة

وممّا لا يخامره شكّ، أن طبيعة الإنسان منذ ولادته ملتزم بتنقل، وتحرك ومغامرة،وسفر،ورحلة، وانتقال من مكان إلى مكان ما، وبالرغم أن الدوافع الدّاعية إلى هذا تنقل أو رحلة متنوع بمرور حاجية الأيام والأزمان والحوادث والوقائع، ومن خلال هذا، يسجل الراحل ما استطاع له من المشاهدات المادية والمعنوية والحسيّة واللاحسية،ويصبح هذا فنّا أساسيا من الفنون الأدبية التي يطلق عليها الأدباء ب" أدب الرحلة ". فأدب الرحلة فنّ من الفنون الأدبية التي يهتم بالانطباعات الصادرة من المؤلف أو السارد أو الراوي من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الزيارات .ولا شكّ بأن اهتمام العلماء بهذا الفن منذ العصور الغابرة كثير لا يستهان به في سجل الحوادث والوقائع والمشاهدات في رحلاتهم لغرض التعليم والتثقيف حتى أصدروا كتبا قيّمة متنوعة مفحومة بوصف رحلاتهم، كما كان شائعا عند العرب وبعض البلدان غير عربيّ.

إنّ مما عرفناه بأدب الرحلة النيجيرية اليوم، بدأ في الأدب العربي النيجيري في القرن العشرين الميلادي من خلال اهتمام بالغ الذي بذله بعض علماء نيجيريا في وصف أحداث سفرهم ورحلاتهم خارج البلاد، وكتابة الأشياء التي وجدوها وسمعوها من أهالي البلاد التي سافروا إليها من الدول الأفارقة والآسيا والأوروبا وغيرهم، وسجلوها ودوّنوها نثرا وشعرا لإفادة القراء والباحثين كما وجدناها عند الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا صاحب الكتب العديدة المفيدة في أدب

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الرحلة، والدكتور إبراهيم جنيد، وقاسم هاشم شوتايو وغيرهم من أدباء الرحاليين النيجيريين. علاوة على هذا، تضافرت جهود الدارسين والباحثين بدراسة كتب الرحلات الصادرة من علماء نيجيريا من عدّة الجوانب، ولكن كتاب إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي لأستاذ الدكتور مشهود محمود جمبا لم يحظ بدراسة كغيرها من كتب الرحلات التي ألفوها كتّابها، ولهذا، يقوم الباحث بدراسته لاستخراج الظواهر السردية والحوارية المتسمة في هذا الكتاب.

طريقة البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الظواهر السردية والحوارية في أدب الرحلة النيجيرية : كتاب إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي.وقبل الخوض في صميم الموضوع، سيرتكز هذا البحث على مفهوم السرد والحوار في الأدب العربي، ثمّ يناقش عن مفهوم أدب الرحلة ومباديئه في الأدب العربي مع ذكر خاصيته وأهميته. وكذلك يتحدث البحث عن مبادئ أدب الرحلة النيجيرية مع ذكر ترجمة حياة الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا وإسهاماته الأدبية. ويختم الباحث باستخراج الظواهر السردية والحوارية.

النتائج والمناقشة

مفهوم السرد والحوارفي الأدب العربي

السرد لغة من سرد يسرد ، سردا ، فهو سارد ، والمفعول مسرود،سرد الكتاب : قرأه بالتتابع، سرد الحديث والقراءة : أجاد سياقهما،يسرد آيات من القرآن في كلّ مساء : يقرؤها قراءة سريعة ، سرد وقائع الحادثة : ذكرها كما حدثت حسب تسلسلها، سرد الجلد:خرزه ،ثقبه بالمخرز ثقبا متتابعةً ،سرَد الدِّرع : نسجها فشكّ طرفَيْ كلّ حلقتين وسمَّرهما ،سرد الشيءَ : ثَقبَه ، سرَد الحديثَ : رواه وعرضه ، قصّ دقائقه وحقائقه سرَد القصّةَ ونحوَها١.

واصطلاحا، فهو لغة اتصال تعبيري تربط الماضي بالحاضر، وتربط الحاضر بتطلعاته المستقبلية المأمولة عن طريق الكلام أو عن طريق التشكيل التصويري المرئي أو عن طريق التعبير الحركي غير الكلامي ارتجالا صامتا أو رقصا، سواء أقام على تعبير فردي أم على تعبير جماعي٢ . وتعدّد وظائف السرد بتعدّد قيمتها فمنها يستطيع الكاتب أو المؤلف بوساطته الدخول إلى عقول الشخصيات،وإن يكشف المصادر السردية للأفعال...،ويمكن أن يوجز أو يسهب بما تتطلب الأجزاء

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

المختلفة في قصته أو في ثنايا الحديث المرجى، ويستطيع كشف الجوانب غير المعروفة عند أية شخصية من الشخصيات والتعليق على الفعل٣.

وأما الحِوار في المدلول اللغوي مصدر حاورَ فهو حديث يجري بين شخصين أو أكثر "جرى حوار مفتوح بين الرئيس ومندوبي الصحف" حِوار أدبيّ- حِوار الطُّرُش: تباحث بين مخاطبين لا يفهم بعضُهم بعضا- حِوار هادئ: خالٍ من الانفعال٤. إنّه نصّ إذاعيّ أو سينمائيّ أو تليفزيونيّ في قالب حديث بين أشخاص "حِوار إذاعيّ/ تليفزيونيّ/ سينمائيّ"٥.

الحوار هو تقنية الفعل اللساني أو بمعنى الأخر لسان النص الذي يعتمد على الفضاء المعرفي لدى شخصية، وهو وسيلة لقراءة وجهات النظر والكشف عن العمق الفكري لذهنية الشخصية ومستواها. وإنّه لحظة زمنية تجمعت فيها جميع التقنيات السردية والتي تعمل على تعطيل السرد وإبطاء حركاته مع إيهام المتلقي بواقعية الحدث. وكذلك إنّه وسيلة لإظهار المضمون بصورة غير مباشرة من خلال شعورية تصاحبه وتفهم منه، أو كثافة المضمون الاجتماعي بواسطة إظهار الصراع بين الشرائح التركيبة الذهنية٦

ويمكن أن يكون الحوار في عناصر بناء القصة القصيرة حيث ينقل السير على مسرح الحدث إلى الوقفة والتأمل بين المتحاورين،ومشاركة القارئ الذي يكون بمثابة الشاهد، ويهدف إلى تطوير الشخصية الهامة في الحدث أو إحدى الشخصيات، أو دفع شخصية البطل للاندفاع أو محاولة كشف هذا الاندفاع، فتتجلى صفة البطل المسيطرة التي تأبى الرجوع٧. وفي المشهد الحواري في القصة نلاحظ انسحاب الراوي وإعطاء المشهد الفرصة في التعبير عن أدق أمور الحياة وتفاصيلها وأحداثها وصعوبتها. ويمتدّ المشهد الحواري ليعطي الحلول لهذه المشكلة من الطرف الآخر، فيأتي الحل لهذه الأزمة بالحوار.ولعل المشهد الحواري في القصة ينقل لنا تدخلات الشخصيات ويكشف عن ذاتيتها من خلال حوارها مع بعضها البعض. وبالتالي لها حريّة التعبير بلغتها الخاصة عن رؤيتها ووجهة نظرها تجاه القضايا السياسية والاجتماعية والفكرية فنرى الشخصيات وهي في حالة صراع، أو في حالة تأمل وحلم مما يساهم في تشكيل الإيقاع الزمني أو الحواري للقصة٨ .

ومن خاصية الحوار والسرد في الأدب العربي على أنّ الحوار يقوم على لغة التفعيل الحاضر في الحدث الدرامي مستهدفا خلق رد فعل حاضر متباين المستويات عند الشخصية المقابلة بقصد تنمية الحدث الدرامي. والحوار بتلك الخاصية عليه أن يكون على نقيض الذي عليه أن يكشف عما

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

يعنيه المكان والزمن والأحداث والشخصيات في علاقتها المتشابكة. والسرد وفق ذلك يقوم على لغة التطليل بالوصف والتفعيلات التي تتناغم مع لغة التفعيل على النحو الذي يحققه الفنان التشكيلي في لوحاته بتفعيل دور التكوينات المشعة إذ يحيطها بما يطللها من ألوان ذات قتامه، كما يقوم على لغة التذييل الذي يحمله السارد الثالث، وهن بمثابة مؤلف ضمني أو ناقد ضمني يعلق على الأحداث تيانة عن المؤلف نفسه حالة عياب السارد الأول (أنا المؤلف) عن مسيرة الحدث الروائي أو الحدث الدرامي والمسرحي٩

أدب الرحلة في الأدب العربي: مفهومه ومبادؤه وأهميته

لقد ورد لفظ الرحلة في عدّة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل على نفس المدلول.وجاء في مقاييس اللغة مادة (ر ح ل) ، الرّاء والحاء واللاّم أصل واحدٌ يَدُلُّ عَلَى مضِي فِي سَّفرٍ.١٠ فنقول : اِرتَحَلَ القَومُ عَنِ المكَانِ اِرتِحَالا ، وَرَحَلَ عَنِ المكَانِ يرَحَلُ وَهُوَ رَاحلٌ مِنِ قَومٍ رُحّل:إنتَقَلَ، وَالتَّرَحُّلُ والارْتِحالُ : الانتِقَالُ وَهُوَ الرِّحلةُ والرُّحلة١١ . وكذلك وجدنا "اسم الرحلة بالضم والكسر، يقال أنّه لذو رِحلة إلى الملوك، ورُحلة حكاه، كما نلاحظ "وَالتَّرَحُّلُ والارْتِحالُ :الانتِقَالُ وَهُوَ الرِّحلةُ والرُّحلة ،رِحلة إلى الملوك، ورُحلة حكاه اللّحياني"؛ أي ارتحال،أو الرِّحلة بالكسر الارتحال للمسير،يُقال دَنَتْ رِحلَتُنَا،ومنه قوله تعالى ﴿رِحلَةَ الشِّتاءِ و الصّيفِ ﴾ ١٢ ، وبالضم الوجه الذي تقصده وتريده وتأخذ فيه السفر ١٣، وعليه فإن الرحلة تعني السفر ، والرحلة الوجهية .

ومن قبيل ذلك ، أرحَلَ فُلانٌ : كثُرت رواحله فهو مُرحِلٌ ...،و الرُحّال: العرب الذين لا يَستقِرُّون في مكان، و يَحلُّونَ بماشيتِهم حيث يسقُط الغيثُ وَينبتُ المرعَى ١٤ ، أي نقيض الاستقرار و الثبات. وبذلك يكون رحلة [مفرد] =ج رِحْلات (لغير المصدر)،ورَحلات (لغير المصدر)، ورِحَلات (لغير المصدر) ، ورحل (لغير المصدر) ، رحّال [مفرد]،ج رحّال، و رحّالة، و رُحَّل، و رحّالونَ : صيغة مبالغة من رحل١٥

بناء على ما سبق بيانه من المفهوم اللغوي يتجلى لنا أن مفهوم الرحلة، يحيل في اللغة العربية على معنى السّفر،والانتقال، و الوجهة أو المقصد الذي يُراد السفر إليه.

واصطلاحا : يطلق على ذلك النوع من الفنون الأدبية الذي يهتم بالانطباعات الصادرة عن المؤلف من خلال ما يقوم به من رحلات إلى البلدان على اختلاف الغايات التي حدثت من أجلها هذه الزيارات كما قالوا عنه إنه نوع من السيرة الذاتية كما يورد فيها الرحالة من معلومات مختلفة عن

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

حياته. فالرحلة تتأثر بشخصية كاتبها الذي لم يكن همه فقط إيراد الحقائق بل التأثير في قارئها١٦.إضافة إلى هذا، فهو بحثٌ يعرضُ فيه الكاتب تجربة رحلته مع القدرة الدقيقة على الالتقاط والتسجيل والرؤية الانطباعية التي تعرف كيف تلتقط المرئيات، وتتعامل معها بأقصى درجات الحساسية والصفاء.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

مبادئ أدب الرحلة في تراث الأدب العربي

إن الأدب العربي غني بتراثه، ولا نبالغ إذا قلنا إن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي، وخير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب، وهي قصوره عن فن القصة دونما قراءة لما تقدمه كتب الرحلات من قصص عن الزنوج، وعرائس البحر، وحجاج الهند، وأكلة لحوم البشر، وصناع الصين، وسكان نهر الفالوجا، وعبدة النار، والإنسان البدائي والراقي، مما يصور الحقيقة حينا ويرتفع بنا إلى عالم خيالي حينا آخر" ١٧

فلقد اعتنى المؤرخون والأدباء في تراثنا العربي بفن الرحلة، وهي كثيرة كثرة مفرطة،يكتبها الرحالة بمخيلة القصاص الذي يسند الواقع بالخيال، والحقيقة بالأسطورة، مثل رحلة ابن جبير في العالم الإسلامي، فقد عرضها عرضا قصصيا شائقا" ١٨،

وقد كان العرب الأوائل في الجاهلية اهتمام كثير بالرحلة وبالرغم تنوعها، مثل الرحلات التجارية المشهورة في العصر الجاهلي إلى بلاد العراق واليمن والشام وغيرها، وكذلك الرحلات التي التجأ إليها المسلمون في عصر صدر الإسلام في فتح البلدان شرقا وغربا، إضافة إلى تلك الرحلات الحج ولطلب العلم.

حيث بدأت العناية بأدب الرحلات " بتصوير أحوال الناس والعمران بالعين الباصرة اللاقطة، وهناك رحلات بحرية رويت عن التجار والملاحين، وهواة البحار، وتبدأ عند العرب بمغامرات تاجر يسمى سليمان ... أما الرحلات عن طريق البر، فقد بلغت من الكثرة مبلغا كبيرا ١٩

ولا شك أن تلك الرحلات وغيرها لها قيمة أدبية ، وأخرى علمية. وأما القيمة العلمية فتكمن فيما تحتويه معظم الرحلات من العلوم والمعارف التاريخية، والجغرافية ،والاجتماعية. وأما القيمة الأدبية في الرحلات فتتحلى في ما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترتقى بها إلى مستوى الخيال الفني ٢٠ . ولقد أشار بعض الكتّاب إلى علاقة بين أدب الرحلة وفن القصة في الأدب العربي، ويظهر أن الفنّ القصصي له جذوره في الأدب العربي، ولا شكّ أن جلّ هؤلاء الرحالة كانوا كتّابا قبل كلّ شيء، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي، يستندون به إلى الواقع أحيانا،ويميلون إلى الخيال أحيانا أخرى، ويحفلون فيه بالقصص للمتعة التي تسمو به إلى مرتبة الأدب الفني الصرف في أغلب الأحيان. ٢١ . وخلاصة القول ، أنهما لم يتفق تماما من حيث العناصر

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

والخاصيات بل يتألفا من خلال السرد والحوار والوصف. وكذلك هناك علاقة بين هذا الفن والفنون الأدبية الأخرى، كفن السيرة، والترجمة الذاتية وغيرية، والرواية وغيرها.

دواعي الرحلة وأهميتها:

لا شكّ أنّ الدواعي الدّاعية إلى الرحلة يختلف باختلاف الأحداث والوقائع والأزمان والأمكان، ومن خلال هذه، يستطيع الراحل بتعبير عن إحساسه ومشاعره حسب مرئياته (مادية- وحسيّة) في جميع أسفاره وتنقلاته. ولهذا، ممكن حصر بعض دواعي الرحلة في النقاط الآتية :

الرحلة الدينية : يتعلق هذا بالتجإ إلى رحلة لغرض أمور دينية مثل رحلة إلى الحج، أو لنشر الدين الإسلامي، مثل ما أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى مدينة وبعض البلدان العربية والإسلامية، ورحلة الإسراء والمعراج.

الرحلة العلمية: قد كانت رحلة علمية من أقدم الرحلات قدمها العرب منذ العصر الجاهلي حيث يرتحل بعضهم لطلب العلم كما فعل " الحارث بن كلدة" الطبيب في الجاهلية، ثم اللغويون، والنحويون، وروّاة الشعر في أخذ الأشعار من الشعراء في القبائل . ولا شكّ أن عناية الإسلام للعلم كثير لا يستهان بها، حتى حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه لطلب العلم حيث يقول" أطلبوا العلم ولو في الصّين". ولهذا، التجأ الناس إلى البقاع المختلفة طلبا للعلم والمعرفة، وصوروا مشاهدهم ومرئياتهم وما كابدوها من المشاقات والصعوبات من المعايش السلبية والإيجابية.

الرحلة الاقتصادية : تتعلق بغرض التجارة، وتبادل السلع، أو لفتح الأسواق الجديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتندر في بلد المسافر، وقد تكون هربا من الغلاء، وسعيا وراء الرخص، واليسر ، والوفرة أو للعمل، أو لجمع التبرعات، والمعونات كرحلات الجمعية الخيرية.

الرحلة السياحية: تعدّ نوع هذه الرحلة مصدرا هاما لدرسة تأريخ مدنها، وآثارها، وأحوالها الاجتماعية، والعمرانية، وهي تتميّز عن مصادرنا التاريخية الأصلية، بتدوينها لبعض النّواحي التي أغفلها مؤرخونا، وبخاصة ما يتعلق بالحياة الاجتماعية لعامة الناس، ففيها شرح لعادات، وأزياء حياة أهلها، وملامح من عيشهم بأعين مختلفة وبتقويم معايير. وتتعلق هذه الرحلة للتّرويح عن النفس، وطلب الاستجمام، وتغيير الأجواء، كما قد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار، والأبراج وغيرهما

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الرحلة السياسية : ترتكز هذه على أحوال البلاد السياسية، ومراكز الحياة العلمية، ومشاهدة الطرق والمسالك، وحياة الناس من عادات وتقاليد، على غرار رحلات الوفود والسفارات التي يرسل بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، لتبادل الأراء، وتوطيد العلاقات، أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام، أو تمهيدا لفتح أو غزو. ومن قبيل ذلك: البعثات الدبلوماسية، والهجمات الاستعمارية وغيرها. ٢٢

أهمية الرحلة:

للرحلة أهمية قصوى في حياة الناس، لأنها أحد المصادر الساعدة لتسجيل التاريخ وتدوينه، وإنّها وثيقة تاريخية صالحة لكل زمان ومكان، باعتابرها مصدر من مصادر المادة العلمية والأدبية. وهذا لها ارتباط قويّ بعدّة علوم ومعارف، كالتارخ، والجغرافية ، والثقافة، والاجتماع، والدين وغيره.

علاوة على هذا، لقد صور بورقبة مريم أهمية الرحلات في النقاط الآتية، كما كان مقتبسا من عدّة الكتب العلمية الأدبية.

ترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى، سواء كانت صادقة أم خاطئة، ذلك لأن الرّحالة يمثل نفسه، ويعبّر عن رأيه الشخصي الخاص به.

الكشف عن نصوص مجهولة لكتّاب ورحّالة عرب ومسلمين، جابوا العالم ودوّنوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورا لما شاهدوه وخبروه في أقاليمه القريبة والبعيدة، لا سيّما في القرنين الماضين اللّذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدة النخب العربية المثقّفة، كما هو الحال عند " فارس الشدياق"

الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر، الذي تشكّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرحّالة، والانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار. إذ نجد الاهتمام الغربي بالآخر العربي، الذي نتجت عنه ظاهرة الاستشراق ، وبالمقابل الاهتمام العربي بالآخر الغربي وما نتج عنه من ترجمة ونقل للعلوم

للرحلات قيمة علمية تكمن في تضمينها الكثير من المدونات والمعارف التاريخية والجغرافية، وما تحتويه من تصوير للحياة الاجتماعية، والسياسية، والعمرانية، والاقتصادية

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

كما تبرز قيمتها الأدبية في أنّ ما كتبه الرحالة يأخذ طريقه إلى عالم الأدب بما فيه من صدق للتجربة،واللهجة الشخصية ، والتصوير الفني الحي، مما يجعله قريبا من عالم القصة، وتحويل التجربة الإنسانية إلى تحربة محايدة.

أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أحصابه في غالب الأحيان عن اللهو، والعبث اللفظي، والتكلف في تزويق العبارة، إيثارا للتعبير السهل المؤدي للغرض مما يفتقده كثير من الأدباء، فالعبرة بالكيف لا بالكم. ٢٣

مبادئ أدب الرحلة في الأدب العربي النيجيري

لا شكّ أنّ ظاهرة أدب الرحلة في التراث العربي فنّ أصيل عريق،بسيماته وغاياته وأهدافه التي لا تخلو عن التثقيف والتعليم، والتأديب. وذكر خليل الله محمد بودوفو بعض العوامل الداعية العلماء النيجيري إلى رحلة، فمنها: الحج إلى مكة المكرمة وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، والتعلم في بلاد العرب والأعاجم، وزيارة العلماء والأولياء الكرام في العراق أو المغرب أو الجزائر أو السودان وغيرها٢٤. ولهذا، يقول عبد الرحمن فهمي في وصف أدب الرحلة:

عبارة عن تجسيد فني لتطور الإنسان الفكري، والديني، والعلمي، والثقافي، والسياسي، غايته التعبير الخاص عن الإنسان الاجتماعي، والإنسان المطلق، وظيفته البحث الدقيق في جوهر الحياة واكتشاف العلم وفهمه ودفع حركة تقدم الإنسان واستشراق مستقبل أفضل٢٥.

لقد يصعب على الباحث والكاتب تحديد وقت معيّن أو زمان محدد لمبادئ أدب الرحلة في الأدب العربي النيجيري، لأن كثيرا من المصادر والمراجع المتاحة لا تشير إلى ذلك، والمذكور أنّه يمكن اعتراف الجميل بأن الحجاج الذين حاجوا بيت الله هم من أوائل الرحاليين حيث ويجتازون بعض البلدان والصحراء قبل وصولهم إلى مكة المكرمة. ولهذا يقول خليل الله بودوفو:

أنّ هذا الفن بدأ على يدي الحجاج القدماء الذين مرّوا إلى الحج ويجتازون بالسودان ومصر قبل وصولهم إلى الحجاز، كما كان الفضل لأبناء نيجيريا الذين تعلموا فى مسجد الجيلاني بتوات الجزائر، وبجامعة سنْنَكُورى بتمبكتو، وتلمذوا على أعالامها أمثال الشيخ أبى العباس أحمد بابا التمبكتى والشيخ مخلوف البلبالى الذى درس أخيرا فى كنو وكشينا٢٦.

وحريّ بالانتباه، أن القرن التاسع عشر الميلادى قرن ذهبي لأدب الرحلة في الأدب العربي النيجيري، إذ نجد إسهامات علماء ذاك العصر في وصف كثير من رحلاتهم الدينية والجهادية

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

والتعليمية التي ألتجأوا إليها في كثير من إصدارهم الأدبية كما وجدناها عند الشيخ عثمان بن فودي وأخيه الشيخ عبد الله بن فودي وكذلك عند ابن الشيخ عثمان بن فودي " محمد بللو" وغيرهم. ولهذا، يقول الشيخ عبد الله بن فودي في وصف رحلته إلى كنو:

رأبت أنّ الفرار قد وجب عليّ، فتركت الجيش واشتغلت بنفسي، واستقبلت إلى الشرق نحو المصطفى صلى الله عليه وسلم إنّ يسر الله ذلك، فدخلت في المفازة مع خمسة من أصحابي ، فبتنا ثلاث ليال لا نرى أحدا ولا أثرا لأحد إلا آثارا الفيلة الكثيرة في تلك المفاوزة، حتى يسر الله لنا الوصول إلى العمران، فجرى في قلبي قصيدة بائية لم أخرجها لأحد حتى وصلنا إلى كنو، فمنعوني من التجاوز وطلبوا منّي أن أعلمهم كيف يفعلون في إقامة الدين، إذ وجدتهم قد دفع الله الكفار عنهم، ولكن مرج أمرهم بينهم لما اشتغلوا بالدنيا ، فرأيت فيهم ما هربت منه، فقلت لهم هذا الذي رأيت فيكم هة الذي هربت منه من وطني حتى قلت قصيدة لذلك في قلبي لم أخرجها لأحد، فألحوا عليّ في إخراج القصيدة ، فكتبتها لهم،ثم ألفت لهم كتابي " ضياء الحكام" ، وقرأت عليهم جميع تفسير القرآن ، فتابوا جميعا، وصلح أمرهم، وكسروا الآت اللهو، التي عندهم، وجعلوا عيدان طبولهم معلفا لخيلهم، وفتح الله ما لم يفتح عليهم قبل ذلك، ولله الحمد٢٧.

إضافة إلى هذا، لم يقتصر هذا الفن عند علماء القرن التاسع عشر بل وجدنا مبادرات حثيثة وفعالة عند علماء القرن العشرين الذين ارتحلوا إلى البلدان الآخرى مثلما وجدناها عند الشيخ الوزير جنيد بن محمد البخاري، و الشيخ آدم عبد الله الألوري، والشيخ أبوبكر عتيق الكشناوي، والشيخ محمد الناصر بن المختار كبرا، والشيخ الإمام محمود بن بللو بن إدريس، والشيخ محمد بن إبراهيم ميماس النفاوي وغيرهم . ولهذا يقول الشيخ آدم عبد الله الألوري في وصف رحلاته إلى مكة المكرمة .

في سنة ١٩٤٦م، عندما كتب الله لى السفر إلى الحجاز المملكة العربية السعودية لتأدية فريضة الحج، ومررت في طريقي بالسودان ومصر الجمهورية العربية المتحدة، وكان تساؤل العلماء الذين اتصلت بهم عن أحوال بلادي وتأريخها أهم ما استرعى انتباهي ، وأيقظ شعوري بالنقص الذي يعيرنا من عدم الاهتمام بتاريخ بلادنا،فآليت على نفسي أن أبحث عن هذا التأريخ، وأن أملأ ذلك الفراغ بكتاب عربي ينطق في ذلك بالحق٢٨.

ومن أمثلة الشعر حول أدب الرحلة في نيجيريا ما قاله الشيخ الوزير جنيد بن محمد البخاري

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

خـرجنا بعـون الله فى غلـس إلى الـ مـطـار و كـنّا كالطيـور البـواكر
فطـارت بـنا مـن يـرو ولا لجة الهـوا تـدافع أمـواج الهـوا فى الهـواجر
تخـوض عبـاب الجـو عـند ارتـفاعها وتمـلؤه مـن صـوتـه بالـزواجر
مجّـوفـة فيـها كـراسي صفـفت مـليّنـة بالخيـش بـرا لـزائر
ونفعـل فيـها كـلّ شيـئ نـريده كـأكل سـوى تـدخينـنا بالسجـائر
نـزلنا جـنيـنة للغـداء وبـعـد ذا ك طـرنا ولم ننـزل سـوى عنـد فاشر
فعـدنـا إليـها ثم طـارت وشـرقت وقـد بعـدت عـنّا أراضى النـياجر
إلى أن أنخـناها وفـازت يـدُ النوى بخـرطوم فانجـابت همـوم المسـافر
وعـند غـروب الشمس تـم نزولـنا فأقـبل ليُـل مسـدل بالـدياجر
فـلاحت لآلى الكـهرباء كـأنـها نجـوم بـدت أو كالبـدور السـوافر
فلـما انتهـينا واطمـأنت نفوسـنا نـزلـنا (بـلوكنـدا) بهـي المـناظر
على شـاطئ النيـل المبـارك قد رسـا نشـم الصـبا منـه بعـرف العنـابر
نمـتع فـيه كـلّ يـوم عيونـنا بمـا تشتـهيه مثلـج للضمـائر
به ألـف مصـباح تضـيئ كـأنها وجـوه حسـان فى مهـالى المنـابر
زوارقـه تـأتى وتـذهب دائـما تميـس على التـيّار ميـس الحـوائر٢٩

نبذة عن ترجمة الأستاذ الدكتور مشهود محمود جمبا وإسهاماته الأدبية

هو مشهود بن محمود بن محمد الثاني المشهور ب"جمبا" نسبة إلى الحيّ أولوغن جمبا في مدينة إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا. ولد لأبوين إلوريين في ٢٥ من شهر فبراير ١٩٦٣م بقرية أييتورو بيدي (Ayetoro Gbede)، بإقليم كبا التابع لولاية كوارا سابقا، والواقع في ولاية كوغي حاليا. بدأ دراسته الابتدائية في مدرسة أنصار الدين حيث كان والده المعلم الأكبر للتعليم الإسلامي في إلورن (Ilorin) ، فضلا عمّا قرأ عند والده من الكتب الأدبية والدينية مثل كتاب " القراءة الرشيدة " و" المسلم الصغير" وحفظ مختارات من أي الذكر الحكيم وعرف معانيها. والتحق بعدئذ بالمدرسة الأدبية الكمالية في يناير ١٩٧٥م وحصل فيها الشهادة الابتدائية. التحق بمعهد البعوث الإسلامية بالقاهرة حيث درس في المرحلة الإعدادية والثانوية في عام ١٩٨٥. وكذلك حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة الأزهر بالقاهرة عام ١٩٨٧ . وكذلك التحق بجامعة إلورن، قسم اللغة

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

العربية وآدابها ، وحصل على الماجستير في عام ١٩٩٥، والدكتوراه من الجامعة نفسها عام ٢٠٠٦م .وحصل على منصب الأستاذية في عام ٢٠١٦ في جامعة ولاية كوارا، إلورن، نيجيريا٣٠.

وقد عمل الأستاذ كمحاضر جامعي في عدّة الكليات والجامعات في نيجيريا، مثل كلية اللغة العربية والدراسات الشريعية، ولاية كوارا، نيجيريا، وجامعة ولاية كوغي، نيجيريا، وجامعة إلورن، نيجيريا، وجامعة أدو أيكيتي، أيكيتي، نيجيريا، وجامعة ولاية نساراوا، نساراوا، نيجيريا. وحالياً يعمل محاضرا بجامعة ولاية كوارا (Kwara)، مليتي (Malete) نيجيريا، ويرئس عدّة المناصب في هذه الجامعة وهو عميد شؤون الطلاب، ونائب رئيس الجامعة (الإدارية). ألف كتباً كثيراً في اللغة والأدب والنقد والترجمة والتاريخ والرحلات والصحافة، وله أكثر من ٥٠ مقالة منشورة في المجلات الداخلية والخارجية. وقد شارك في عدد من المؤتمرات العلمية في نيجيريا وخارجها، ويرأس عدد من الجمعيات والمؤسسات الأكاديمية٣١.

وقد بوأ الأستاذ جمبا مكانا عاليا، وكان محبوبا ومحترما لدي الجميع بصفته المحمودة، وخصاله الحميدة، وكان متزوجا وموهوبا ببنين وبنات كانوا رياحين قلبه النابض.

جولة مع تجربة الأستاذ جمبا الأدبية الإبداعية

سافر الأستاذ الدكتور جمبا إلى دول عديدة لأغراض دينية وعلمية وثقافية ومن الدول التي سافر إليها: مصر، السودان، وليبيا، والجزائر، ومالي، والمغرب، والمملكة العربية السعودية، والولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، والنيجر، والسنغال، والأردن،وبنين. وقد سجل الأستاذ مشاهداته وخبراته وانطباعاته في بعض هذه الرحلات. وقد وصفه الدكتور عليّ يعقوب:

يعتبر الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا من العلماء المعاصرين الذين اهتموا بهذا الفنّ اهتماما كبيرا حيث يسجل انطباعاته وملاحظاته خلال سفرياته العلمية، ويصيغها بأسلوب أدبي طريف وجذاب. ومن ذلك رحلته من مدينة إلورن في نيجيريا إلى مدينة تمبكتو في شمال جمهورية مالي، ورحلاته إلى أمريكا وبريطانيا، وأدرار في جنوب الجزائر، والمملكة المغربية وغيرها.

بناء على هذا، ألف الأستاذ الدكتور جمبا ستة الكتب عن الرحلة وهي:

الرحلة الأولى: من إلورن إلى تمبكتو" ٢٠٠٩ م، وهي الرحلة التي قام بها من مدينة إلورن-نيجيريا-إلى مكتبة أحمد باب بتمبكتو للنظر في شأن المخطوطات العربية هناك، وقضى في الرحلة

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

أسبوعين، بدأ رحلته في يوم ٢٥ من أبريل ٢٠٠٨م ، وعاد الرحالة إلى إلورن صباح الجمعة ٠٥-٠٩-٢٠٠٨

الرحلة الثانية: خلاصة الأخبار في زيارة ولاية أدوار" ٢٠١٥ م" وهي الرحلة التي قام بها الرحالة إلى الجامعة الأفريقية بمدينة أدوار في الجمهورية الديمقراطية الجزائرية، وكان الهدف منها حضور المؤتمر الدولي حول المخطوطات العربية الإفريقية، وقضى فيها الرَّحالة عشرة أيَّام.

الرحلة الثالثة: نيل المرام بزيارة مدينة دُرْهام" ٢٠١٥م "، وهي الجولة التي قام بها الرحالة إلى جامعة دوك بمدينة درهام بالولايات المتحدة الأمريكية، بهدف الدراسة العربية في الجامعات الإفريقية.

الرحلة الرابعة: التفرج برحلة لندن وكامبرج ٢٠١٦ "، وهي الرحلة التي سعي إليها الرحالة إلى جامعة كامبرج بالولايات المتحدة الأمريكية،بقصد زيارة مركز الوليد بن طلال.

الرحلة الخامسة : إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي ٢٠١٩، وهي رحلة إلى دولة النيجر لحضور ندوة علمية إقليمية حول " اندماج حملة الثقافة العربية والإسلامية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء، بالجامعة الإسلامية، النيجر، وسجّل انطباعاته وملاحظاته من يوم خروجه من مدينته إلورن إلى أن وصل إلى مدينة ساي مقر الجامعة الإسلامية بالنيجر،وكذلك عند رجوعه من ساي إلى إلورن.

الرحلة السادسة: الرحلة البهية إلى المملكة الأردنية الهاشمية ٢٠٢٠م "هي الرحلة التي قام بها الرحالة إلى المملكة الأردنية الهاشمية عام ٢٠١٨م لحضور المؤتمر الدولي حول تطوير التعليم العالي٣٢.

الظواهر السردية والحوارية في أدب الرحلة النيجيرية

قبل الحديث عن الظواهر السردية والحوارية في أدب الرحلة النيجيرية، هناك الأشياء التي ينبغي الانتباه إليها، فقد ذكر خضر أن لكل رحلة تامة ثلاث محطّات مكونة لمسارها الكامل : وهي مرحلة الانطلاق، ومرحلة المسار، ومرحلة الوصول . وعند التمعن في رحلة حمنبا ،نجد أنه صور كلّ هذه المكونات.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

مرحلة الانطلاق: هي تتعلق بنقطة الانطلاق التي تعد بداية الرحلة ، والأستاذ جمنبا ، بدأ مرحلة انطلاقه من بيته مع الأخ حسين موسى أريكيؤشولا مع صحبة بنته فريدة إلى حيّ أولوجي، حيث نقله صديقه الدكتور صالح جمعة ألاشو إلى خراج أوكي أولووو(Oke –Olowo)

مرحلة المسار: تشكل هذه المرحلة أهم من مراحل الرحلة ، ويتشكل خطها من نقطتين، هم نقطة انطلاق ،ونقطة الوصول على النحو التالي

مدينة شكي : وهي أول نقطة مسار الرحالة التي وصل الساعة الثامنة ليلا، والتقى مع الأخ هارون بن بللو وشقيقه عبد الرحمن ، والأخ عمران أكوريدي، الذين استضافوه ، إضافة إلى ما قدمت إليه أسرة الدكتور آدم سراج الدين.

جامعة نيامي: وهي الجامعة التي عقدت المؤتمر الدولي الذي شارك فيه المشاركون من نيجريا والدول الأخرى

فندق "ساحل" : وهو المكان الذي يسكن مع الوفد الآخر في أثناء المؤتمر ، وهو موجود في مدينة نيامي

سكن الطلبة بمدينة نيامي: حيث التقى الوفد مع الطلبة النيجيرين ... الخ.

مرحلة الوصول : ومن المعروف، أن لكل بداية نهاية، ونهاية الرحلة تكون غالبا من مكان بدايتها، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكون وصول الرحالة إلى المكان المبتغي معيارا لتحديد زمن الوصول، فلربما كانت تلك النقطة بداية رحلة جديدة، وبالتالي تكون لدينا سلسلة رحلان – وفقا للمعيار المكاني- ضمن رحلة واحدة إلى منطقة معينة، يجول فيها الرحالة عبر أقطارها من مدين إلى أخرى، فحط الرحال فيها يكون بداية لرحلة ثانية، فتكون نقطة وصول وانطلاق في آن واحد ٣٣. ولا شكّ بأن هذا يظهر جليا عند أستاذ جمبا الذي قام برحلته إلى نيامي وسامي في دولة النيجر، ولكنه زار عدّة المدن في أثناء رحلته، مثل مدينة زاكي الذي أقام فيها ليلة واحدة ، ثمّ انطلق بعد يوم الثاني إلى النيجر.

علاوة على هذا، تتضمن ظاهرة السرد على النقاط الآتية :

سرد الأحداث :

يتنوع الحدث الرئيسي عند الرحالة بتنوع المشاهد والفكرة التي يقوم عليها ما بين حدث اجتماعي، وسياسي، وتربوي، وثقافي،وطبيعي وغيرها، ومن بين الأحداث التربوية التي وقف عندها

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الكاتب في أثناء رحلاته إلى ساي ونيامي في دول النيجر.وحريّ بالانتباه، أن الكتاب تحت الدرس يتضمن عدّة الأحداث الواقعة منها ما سرد الرحالة في منطلق انطلاقه من إلورن إلى جراج أوكي أولووو(Oko- Olowo) لركب السيارة إلى مدينة الساكي، في ولاية أويو، لما وجد سيارة ميكروبس (Micro-Bus) مليئة بالأرز المهرم والمحرّم استيرده، يقول الرحالة " خرجنا من إلورن حوالي الساعة الخامسة مساء، وبعد عشرين دقيقة، وعلى القرب من بوابة مدينة إبيتي (Igbeti)، وجدنا على حافلة الطريق طابورا طوله على مدى البصر، عليه ما يقرب من ٨٠ سيارة ميكروبوس تمتلئ بالأرز المهرّب والمحرّم استيراده، كان سائقوها ينتظرون حتى إذا جنّ الليل توراوا بظلامه ودخلوا إلورن بحملهم المهرب.٣٤

هناك حادثة واقعة بين رجال الجوازات والفتيات الثلاث الجالسات داخل السيارة في قرية وسنغري، يقول الرحالة " لما وصلنا قرية وسنغرى، استجوب رجال الجوازات الفتيات الثلاث الجالسات في المقعد الخلفى، فكذبن أنهن ذاهبات لحضور حفلة زفاف بالنيجر، وهنّ في الحقيقة من قبيلة جوغن بجمهورية بنين" .٣٥

حادثة عجيبة لإمرأة نسيت ابنها الصغيرة في الحافلة، يقول الرحالة " وبين قبيل وصول وكندى حدثت حادثة غريبة، نزلت امرأة من الحافلة ناسية ابنها الصغير، ولم يكتشف الطاقم إلا في كندى، وبعد أن فشلت كل المحاولات لتتبع آثار المرأة حيث أجروا اتصالات مع عدد من المحطات التى توقفنا عندها ولم تجد نفعا، قرروا إنزال الولد وهو شديد البكاء ٣٦

حادثة واقعة بين الرحالة والجوازات، وطلبوا منه بإظهار جوازاته أو بطاقته الوطنية، وبالأسف ، لم يكن معه أي نوع من هذه المتطلبات. يقول الرحالة في وصف هذه الحادثة " عبرنا نهر النيجر مشاة، منتشرين على الجسر انتشار اللاجئين المشردين، ولما وصلنا الجانب البنيني أمرونا بالمرور عبر غرفة صغيرة حيث يظهر كل واحد بطاقته الصفراء، ومن عجز عن ذلك دفع مبلغ ٥٠٠ فرنكا، وكنت من الدافعين...الخ. ٣٧

سرد الشخصيات :

تمثل الشخصية في أدب الرحلة مركزا أساسيا في الكشف عن القوى التى تحرّك الواقع لدى الرحالة. وهي كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية. وتعدّ من أهم العناصر التي يقوم عليها العمل القصصى ، ويعرفها مارتن بأنها : " الشخصية هي كائنات ورقية يبتكرها الكاتب بحسب

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

رؤيته الخاصة، بإعطائها تلك الصبغة القصصية الهامة من خلال دلالات أفعالها وأقوالها الفنية. تتنوع الشخصيات في وصف الرحلة أو القصة بمثابة عدد الشخصية الموجودة فيها، ولهذا ينقسم إلى قسمين: الشخصية الرئيسية ، والشخصية الثانوية٣٨

الشخصية الرئيسية : هي شخصية محورية ومركزية التى تظهر غالبا في الرحلة أو القصة، وتلعب دورا ملحوظا في مجرى الأحداث، بل هي السائل والمسؤول عن الواقع التي يصورها. ويقول مرتاض بأنها " الشخصية البسيطة التى تمضى على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة٣٩. لقد صور الأستاذ جمبا الشخصية الرئيسية مع توظيف أدوارهم وأعمالهم في الرحلة. ومن الشخصية الرئيسية في هذا الكتاب ما يلي :

المشاركون من نيجيريا في المؤتمر : الراوي أو الرحالة (الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا)، الأستاذ الدكتور حمزة عبد الرحيم، والدكتور مرتضى بن عبد السلام الحقيقي، والدكتور محمد ثاني إبراهيم. وكذلك والدكتور علي عبد الرزاق أبولاجي (منسق المؤتمر) الذي وصفه الرحالة بعالم لغوي من الطراز الأول، وخطيب مصقع لسن، ومفخرة من مفاخر نيجيريا في الساحة الأكاديمية في دولة النيجر، والأستاذ الدكتور المنصف الجزار (رئيس الجامعة)، الطلبة النيجيريين ، الطالبات النيجيريات،

الشخصيات الثانوية في الرحلة : وهي تلك المركبة المعقدة التي لا تستقر على حال، لأنها متغيرة الأحوال ومتبدلة الأطوار، فهي في كل موقف على شأن. فنوع هذه الشخصية تكره وتحب، وتصعد وتهبط وتؤمن وتكفر وتفعل الخير كما تفعل الشر وغيرها من الصفات الممكنة لهذه الشخصية. قد وصف الرحالة الشخصيات الثانوية كثيرا لأنهم يظهرون حيانا مرة واحدة وتخفون، ولا تستقرون في حال واحد، ومن الشخصيات الثانوية هم : حسين موسى أريكؤسولا، الدكتور سليمان لنغا ، الشيخ خضر محمد بللّو ، معاذ أبوبكر موسى، الدكتور محمد دوكورى، الأستاذ سانا عبد العزيز، عبد الرزاق الألارو، رحمة حسن ، إبراهيم الإمام عبد الله التنكوي.

سرد الأزمان في الرحلة :

زمن الرحالة:تتعلق ظاهرة الزمان في عمل القصة أو الرحلة بمجموعة من العلاقات الزمانية من حيث السرعة والترتيب ، والمسافة الزمانية بين المواقف والأحداث المحكية وعملية حكايتها، بين القصة والخطاب، وبين المحكى وعملية الحكاية ٤٠. وزمن الرحالة هو ذلك الزمن الذي يخضع

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

لظروف الارتحال ومصاعب الطريق.. الخ، إنّه " فزيائي" له بداية ونهاية، ومسالكه خاضعة لطبوغرافية مرسومة، والرحالة لا يتردد في الإشارة إلى يوم والتاريخ الهجرى. ويخضع لظروف الارتحال ومصاعب الطريق ٤١.

ولا تختلف هذه الظاهرة بما عند بعض الرحاليين في ذكر زمن رحلتهم مع ربطه بالحدث المؤرخ له بدقة متناهية، فجعل من رحلاته إلى سامي ونيامي يوميات ، مضيفا عليها عنصر الزمن المقدّر بالساعات بناء على زمن الانطلاق، وزمن الوصول. ومن نماذجه ما يلي :

خروجه من إلورن: خرجنا من إلورن حوالي الساعة الخامسة مساء، وبعد عشرين دقيقة وعلى القرب من بوابة مدينة إبيتي.٤٢

وصلنا مدينة مدينة شكي الثامنة ليلا،٤٣

تعرفنا حوالي عام ٢٠٠٩ ، حين قدم جامعة ولاية كوغي لتحضير الدكتوراه٤٤.

بدأت الرحلة في الساعة ٩:٥٠ صباحا، وكنت جالسا في الأمام مستريحا٤٥

وصلنا حدود ولاية كوارا في ١١:٢٠ ووجدنا الطريق قد تحسن حاله بعض الشيء ٤٦

دخلنا مدينة نيام بحمد الله في تمام ٦:٤٥ صباحا،٤٧ ... الخ

ثانيا : زمن المكان المرتحل إليه

نقصد به زمن " اللاّزمن"، وهو زمن الأرض بالساي ونيامي، وعند التمعن في هذه الرحلة، نجد أن الرحالة قد اعتنوا اعتناء كبيرا بإبراز الحالة الاجتماعية ، والسياسية والاقتصادية والثقافية لهذين البلدين الذي زارهما في الكتاب تحت الدرس.

سرد الزمان السياسي:

وبالرغم أن الأستاذ جمبا لم يقصد بسرد الصور السياسية في البلاد التي زارها، بيد أنه صورها بعضها في أثناء وصفه لقوم باتون ، وهو يقول :

قوم يعرف عند الأجانب ب"بَرِبا" أو "بَرُبا، أما " باتوت" ، فتسمية القوم أنفسهم، ويجمع على " باتونب". وهم أساسا من بناة وسكان مملكة برُغُ القديمة التي تضمنت نمي وبوسا وإلو في حافة الجنوب الشرقي لمنطقة النيجر الوسطى عبر الحدود النيجيري- البينية.....، وكانت مملكتهم قوم قوية مستقلة عن الممالك المجاورة لم تهزم من قبل جيش مجاور، ولم تخضع لأية مملكة حتى استحوذ عليها نفوذ الاستعمار البرياني والفرنسي٤٨. ".

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

سرد الزمان الاقتصادي

لقد صور لنا الرحالة الحركة الاقتصادية الجارية في بلاد التى زارها ، ويتجلى هذا من خلال وصفه لمهنة بعض الأقوام والشعوب الذين يقيمون في هذه البلدان. ويقول الرحالة عن قوم باتون : ويعتبر قوم باتون في نيجيريا وبنين أسرة واحدة، يتكلمون لغة واحدة هي باتونم،وعاصمتهم مدينة نكي بدولة بنين، وفيها تعيّن ملوكهم وزعاؤهم في بنين، ومهنتهم الرئيسة هي الزراعة، وأهم محاصليهم اليام، والأرز ، والذرة ،والشعير، والكسافا، والقطن، والفاصوليا٤٩ .

إضافة إلى هذا، يصف الرحالة الأنشطة الاقتصادية في دولة النيجر، يقول: وأرض النيجر صحراية قاحلة، خاصة في الجزء الشمالي منها، ولكن مهنتهم الرئيسة هي الزراعة، فهم يحرثون الدخن، والقطن،والأرز، والخضار، والفواكه، والكسافا٥٠.

وكذلك صور الرحالة قبيلة بربا، الذين يشتغلون بالفلاحة، ويقول: " وأهل هذه المناطق وهم قبيلة بربا- يشتغلون بالفلاحة، يجلس النسوة أمام الديار ويقشرن حبّات اليام الصغيرة لإعداد دقيق (أيلوبو) الذي يصنع منه أمالا طعام يوربا المفضل. والمكان من أكثر المناطق انتاجا لأيلوبو في نيجيريا، ويكثر بالمنطقة الفرتة، رعاة البقر والغنم وقاطنو الأكواخ.٥١

سرد الزمان الديني:

إنّ مما يجلب الإعجاب في رحلة الاستاذ جمبا هو طرق سرد الصور الدينة لبعض الأقوام والشعوب الذين سارهم ، مثل سرده في ديانة قوم باتون ، وهو يقول : " أما ديانتهم فالأغلبية الساحقة منهم مسلمون، وإن كان بعض منهم على الديانات التقلدية والمسحية ، وخاصة المقيمون في بني، ولهم مهرجتن مشهور يعرف ب"غاني" وهو عيدهم القومي، يشهده الداني والقاصي، ويمارسون فيه بعض العادات الشركية ٥٢.

سرد الظواهر العلمية والفكرية والثقافية :

ومن المعروف في ضمن هذه الرحلة ، أن أهداف وراء رحلة الأستاذ جمبا إلى ساي ونيامي هي مشاركة في المؤتمر الدولى المنعقد في الجامعة الإسلامية بساي، ولهذا، سرد لنا عدّة الصور الفكرية والثقافية في هذه الرحلة، منها :

افتتاح المؤتمر بتلاوة القرآن وكلمة مؤجزة التي قدمها الدكتور علي عبد الرزاق أبولاجي، رئيس اللجنة العلمية التنفذية للمؤتمر، وكذلك رائد المؤتمر. ولهذا يقول الرحالة : " افتتحت الحفلة

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

في الساعة ٩:٣٠ بتلاوة عطرة القرآن قام بها طالب نيجيري، وقام الدكتور على أبولاجي بدور الريادة، ثم ألقى كلمة موجزة بصفته رئيس اللجنة التنفيذية للندوة، ومما ورد في كلمته ما يلي : أيّها الحفل الكريمّ لا يخفى على أحد مدى أهمية موضوع الندوة " اندماج حملة الثقافة العربية الإسلامية في مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء" لأبناء المنطفة في هذا التوقيت بالتحديد، فمن أبرز سمات العالم المعاثر من حولنا سرعة تغيير الأحوال وتقلب الأمور، والفرد الصالح للعيش في مثل هذا العالم المتقلب... وفي تمام ١٠:٣٠ ، بدأ إلقاء المقالات... الخ ٥٣. (ص٢٠-٢٣)

اجتماع الوفد النيجيري مع الطلبة النيجيريين، ولهذا يقول الرحالة: اجتمع الوفد النيجيري مع الطلبة النيجيريين البالغ عددهم ٥٠٠ طالبا وطالبة، وافتتح الاجتماع بقراءة ممتازة من أي الذكر الحكيم من طلب نيجيري ، تلتها قصيدة رائعة بعنوان وطني " نيجيريا" ألقاها الطالب معاذ أبوبكر موسي ترحيبا للوفد ٥٤

اللقاء مع الطالبات النيجيريات : يقول الرحالة: بطلب من اتحاد الطلبة النيجيريين في الجامعة، زرنا الطالبات النيجيرية في السكن الجامعي بمدينة نيامي، وهن حوالي ٧٠ طالبة معظمهن من شمال نيجيريا. حضر اللقاء أعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد. افتتح الدكتور أبولاجي بالتعريف بالضيوف وأهداف المؤتمر الذي جاؤوا من أحله. ثمّ أقيت كلمة الوفد الزائر، وألقى كل الدكتور ثاني إبراهيم، ومرتضى عبد السلام الحقيقي،وعبد الوها صلاح الدين كلمة تشجيعية. وبعد ذلك بدأت الطلبة رحمة حين ترتجل أبياتا شعرية من بنات فكرها٥٥

سرد الاجتماعية :

وهي الدراسة السوسيولوجية لمجتمع النيجر، ويضم ذلك الحديث عن طبقات الناس، وعادتهم ، واحتفالاتهم ، وجغرافياتهم وثرواته، ومعادنهم وديانتهم. ولا شكّ بأن الرحالة سرد لنا هذه الظواهر بصورة جليّة، منها سرد جغرافية البلد، وصف طقوس قوم بربا، وصف طرقات دولة بنين ، ووصف دولة النيجر، وصف الجامعة الإسلامية بساي ومقارنتها بالجامعات النيجرية من حيث المباني والكوادر البشرية. وغيرها. ولا بدّ من نماذج من كتاب الرحلة تحت الدرس.

يقول الرحالة في سرد طريق بين مدينة شكى وإليشا بربا " كان الطريق بين مدينة شكي وإليشا بربا – من وعورته- جهنميا، فكنا نمشي وئيدا حتى كام الراجل أسرع منا.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

يقول الرحالة : وصلنا حدود ولاية كوارا في ١١:٢٠ ، ووجدنا الطريق قد تحسن حاله بعض الشيء ، ولما وصلنا مدينة إليشا بربا، وجدنا أهلها في طقوسهم الذي يسمى بغاني، فمنعونا المرور عبر الطريق العام، بل حولونا إلى داخل المدينة عبر الطرقات الضيقة المعوجة.

يسرد الرحالة بعض الحالات السيئة والعادات القبيحة الواقعة في طريق حيث يأخذ رجال الأمن رشوة. يقول : " ويجدر بالذكر ما سميته " صدقات غير جارية" وهي رشاوى إجبارية يقدمها السائق في مواقف رجال الشرطة، والجوازات ، والجمارك، وتفوق هذه المواقف رشوة. والرشوة على أنواع، منها ما يرميها السائق على الأرض من دون أن يتوقف فيلتقطها " مستحقها" ، ومنها ما ينزل السائق لتقديمها ل"مستحقها" المنتظر على حافة الطريق، ومنها ما تقدم للرئيس الأكبر بكبير احترام، وهو جالس في مكتبه، ومنها ما يجمعها شاب يعرف كل سائق ورقم سيارته، استأجره الضباط لهذه المهمة

يسرد الرحالة طرقات دولة بنين. ويقول: إنّ طرقات دولة بنين في حالة ممتازة، وعلامات الطرقات متوفرة وواضحة، والنظام عندهم أنهم يكتبون اسم البلد على لوحة صغيرة منصبّة على حدوده، إعلانا لبدايته والدخول فيه. وفي الوجه الآخر للوحة اسم البلد نفسه، وعليه علامة (*) إعلانا لنهايته والخروج منه. وفي الجانب الآخر من الطريق الموازي لهذا المكان لوحة مماثلة ، الترتيب فيها عكس ما في اللوحة الألى.

سرد الأماكن في الرحلة:

يرتكز سرد الأمكنة في الأدب السردي على المجال الذي تسير فيه الأحداث من تحولات على مستوى الشخصيات من أفعال وأقوال. ويتعلق سرد المكان في رحلات الأستاذ جمبا بمجموعة الأمكنة التي تقوم عليها حركة المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك الأمكنة التي يصورها الرحالة بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة ، وبطريقة ضمنية مع كل حركة في الرحلة ٦٠. وحريّ بالانتباه، هو تقسيم الأماكن التي زارها الرحالة إلى القسمين. الأماكن المغلقة، والأماكن المفتوحة. والأماكن المغلقة في الرحلة تتضمن البلد، والبيت ، والغرفة ، الحدود، والفندق، والسيارة ، وغيرها من الأماكن التي حددت مساحته ومكوناته، فيبقى الشخصيات محاصرين أو يشعرون بالقلق لمدة ، أو يشعرون بأنّهم في دائرة مغلقة. وقد يكون مصدرا للخوف. وتتكون الأماكن المفتوحة في الرحلة بالمدن، والقرية، والصحراء، والطرقات ..الخ. فكل هذه الأماكن هي الأماكن المفتوحة من حيث المساحة والحركات.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

فمن الأماكن المغلقة في الرحلة، ما صورها الرحالة في طريقه إلى مدينة شكي،حيث وجد سيارة ميكروبوس تقريبا ٨٠، يتصففون ويقفون في الطريق بدون أي المشي خوفا من ضباط الجمارك. ولهذا يقول الرحالة: وبعد عشرين دقيقة وعلى القرب من بوابة مدينة إبيتي (Igbeti)، وجدنا على حافة الطريق طابورا طوله على مدى البصر، عليه مايقرب من ٨٠ سيارة ميكروبوس تمتلئ بالأرز المهرّب والمحرّم استيراده، كان سائقوها ينتظرون حتى إذا جنّ الليل تواروا بظلامه ودخلوا إلورن بحملهم المهرب، وكان ذلك بعلم من ضباط الجمرك، مقابل مبالغ نقدية معينة ٦١، يشير هذا المقطع الرحالة في مكان مغلق من حيث خوف السائقين.

-وكذلك وصف الرحالة الأماكن المغلقة في أثناء دخوله حدود بنين مع نيجر، حيث يقول: .... ، والجسم منقسم إلى قسمين في الوسط: قسم النيجر وقسم بنين، ثم سرنا لخمس دقائق ووصلنا جمارك النيجر. لقد خوفني الناس قبيل وصول المكان بأني سأحرم الدخول لعدم حملي جواز السفر أو البطاقة الوطنية، فتلوت بلا عدد الآية الكريمة" ربّ نج نوحا في العالمين" والآية الكريمة " لإن أنجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين ". وأيقنت من الاستجابة ٦٢ . وهذا بلا شكّ، المقطع الرحالة في مكان مغلق من حيث خوف الرحالة من الجمارك.

-وكذلك وصف الرحالة الأماكن المغلقة في أثناء رحلته نهر النيجر مشاة. حيث يقول: " عبرنا نهر النيجر مشاة، منتشرين على الجسر انتشار الاجئين المشردين، ولما وصلنا الجانب البنيني أمرونا عبر غرفة صغيرة حيث يظهر كل واحد بطاقته الصفراء، ومن عجز عن ذلك دفع مبلغ ١٠٠٠ فرنكا، وكنت من الدافعين، فيا ترى مقابل ماذا هذا المبلغ؟، تقدمنا إلى حجر قمس الجوازات حيث سمحوا لحملة الجوازات أو البطاقات الوطنية أو (Laissez Passer) بالمرور، أما أنا فقد أمروني بالوقوف جنبا للاستجواب لعدم حملي أي من الإثنين.....٦٣ ، وتشير هذا المقطع المكان المغلق من حيث المعانات والتحاديات الموجهة بها من قبل الرحالة من ضباط الجمارك.

فمن الأماكن المفتوحة في الرحلة ، ما صورها الأستاذ جمبا في المقاطع الأتية :

منها ما يسرد الرحالة في يوم الأول في افتتاح المؤتمر ، وهو يقول : " افتتحنا اليوم الثاني بصلاة الجماعة، ثم تناولنا الفطور، وغادرنا الفندق في تمام الساعة الثامنة قاصدين الجامعة الإسلامية بساي على بعد ٥٥ كيلومتبر من العاصمة. استغرقت الرحلة حوالي ٥٠ دقيقة مارة بنهر النبجر الجميل. وبعد خروجنا من المدينة لم نجد بلدة واحدة معمورة سوى دَلوَى، وما سواها فأكواخ في

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

صحراء معشبة يقطنها رعاة الغنم من فلاتة وزَبَرما، يعيشون على رعي الغنم وزراعة الدخن.٦٤. يظهر هذا الأماكن المفتوحة من حيث وصف الرحالة هيكلية الهندسية بين فندق في مدينة ساي وجامعة الإسلامية فيها.

منها ما يسرد الرحالة في أثناء جولت مشاركي المؤتمر داخل الجامعة الإسلامية بساي، ويقول : عقب الإلقاءات ،دعانا السيد رئيس الجامعة لزيارة بعض المشاريع المهمة داخل الجامعة، إنها مشاريع متواضعة نسبيا،لكنّها ذات قيمة علمية كبيرة جديرة بالتنويه. بدأنا بمزرعة تجريبية صغيرة تابعة لكية الزارعة ، وخاصة بزراعة النخيل، قيل إن أمراتيا من أعضاء مجلس إدارة الجامعة،هو الذي أتى بفضائل النخيل إلى الجامعة. والجدير بالذكر أن المزرعة أكثر امتلاكا للنخيل من غيرها في المنطقة. ٦٥

ومنها ما يقارن الرحالة بين الأمكان والمباني والكوادر البشرية بين جامعة الإسلامية بساي وجامعات النيجيرية، وهو يقول : ويلاحظ المرء تفاوتا كبيرا بين هذه الجامعة وكثير من الجامعات النيجيرية ، إذا قارن بين البُنى التحتية الضخمة والإمكانات المتوفرة في الثانية، والقليلة المتوفرة في الأولى،جنبا إلى جنب مع انتاجات الجانبين من الكوادر البشرية. فكل ما وجدناه في الجامعات الإسلامية بساي من المباني لا تتجاوز ما تمتلكه كلية أو كليتان في إحدى الجامعات النيجيرية...الخ ٦٦ . وهذا أيضا من الأمكان المفتوحة صورها الرحالة، تستطيع هذا من خلال الحرية التامة التى أخذها في تجولهم في حرام الجامعة.

ومنها ما يسردها الرحالة في أثناء جولته مع الوفد النيجيري للمؤتمر، وهو يقول : في الساعة الرابعة مساء ، خرج بنا الدكتور علي عبد الرزاق أبولاجي في سيارته وتجولنا جولة عريضة في المدينة مارين بالجامعة التونسية العالمية بالنيجر في حي بلاتو، ومقر منظمة التعاون الإسلامي في النيجر، فالبنك الإسلامي، فوزراة الطاقة، وانتهينا إلى هيوبيني (hebo bene) (أي السوق الكبير في اللغة الزبرموية). تجولنا في السوق بقيادة امرأة نيجيرية من مدينة شكي (وهنّ كثيرات في نيامي)، والسوق واسعة جدا تشبه أسواق شمال نيجيريا في الزحمة وعدم النظام... الخ ٦٧. تشير هذا المقطع الأماكن المفتوحة لأجل حرية التجول في المدينة بدون أي المشاكل .

الوقف في سرد الرحلة:

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

يتعلق الوقف في سرد الرحلة ببعض المواقف التي يقف عليها الرحالة أحيانا، ليعرض بعض المشاهد أو المسائل أو وصف أشياء المحسوسة وغير المحسوسة في ضمن الرحلة. لقد يشير القاضي بأن الوقف " هو الموضع الذي يتعطل فيها السرد ، وتعلق الحكاية ليفسح المجال للوصف أو التعليق أو التأمل أو غير ذلك من الاستطرادات التي تدرج ضمن ما يسمى ب" تدخلات المؤلف"، لأنها تجسد أقصى درجات الإبطاء في السرد. ويصف بشير أمين هذه الظاهرة في كثير من رحلات التجأ إليها الأستاذ جميا، ويقول: تحتل الوقفة الوصفية مساحة كبيرة في جميع رحلاته، وهو يوظفه بشكل يلفت الانتباه، وقد لا نبلغ إذا كلنا جميع رجلاته جاءت بشكل الوصف،وإنما امتزج الرحالة بين السرد والوصف. ذلك أنه يشاهد الأشياء ويمر بالأماكن والشخصيات المختلفة، فيقف عندها بوصف أجزاءها ومكوناتها الخارجية، بأسلوب التعليق الدقيق، والتفسير الشامل، وبالتالي يؤدى هذه الصفات إلى إبطاء السرد.٦٨.

لقد وصف الرحالة هذا الوقف في أثناء وصفه لبلدة ساي، ومقبرة الشيخ ألفا ممّن جوبَو، وهو يقول : " تبعد البلدة عن الجامعة بحوالي أربع كيلومترات، وهي قرية كبيرة فيها سوق صغيرة، وتشبه مدينة جنّى بدولة مالي من حيث التخطيط والهندسة المعمارية،زرنا تحت قيادة الدكتور أبولاجي. كان أول نقطة توقُفنا هي مقبرة الشيخ ألفا ممّن جَوْبَّو، وهو عالم كبير، قيل إنه من تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي. كان على ضريح الشيخ مبنى مكعّب عال في شكل الكعبة المشرفة، وقد اختلسنا النظرة إلى داخله من خلال ثقب صغير في حجم العين. وبينما نحن في تلك الحالة، تقدم نحونا أناس قيل إنهم حفدة الشيخ... الخ٦٩ . بلا شكّ ، يهدف هذه الوقفة في وصف بلدة ساي، ومن خلاله انتقل إلى وصف ضريح الشيخ ألفا ممّن جوبو. والجدير بالذكر، هو ظروف الأحداق التي يجعل الرحالة أو الراوي يتمهل في الحكاية لوصف مكان الأول (وصف بلدة ساي) ورسمه رسما دقيقا، ومن بعد ذلك انتقل إلى وصف الشيخ ألفا ممّن جوبو كعالم كبير، ومن تلاميذ الشيخ عثمان بودي، ومن هنا يضطر إلى إيقاف واندفاعها، وبعد ذلك، لجأ إلى وصف مقبرة هذا الشيخ .

وكذلك تظهر الوقفة الوصفية في أثناء وصف الرحالة أهل بنين، حيث يقول : " إنّ زراعة القطن من أهم ما يمتهن به أهل بنين، فكثيرا ما نجد في المزارع ركاما من القطن الذي تمّ حصاده، يرتّب في شكل مربّع، فيبدو للناظر من بعيد كأنّه سرير أبيض جُهّز لعرس. ويلاحظ كذلك كثرة المشاريع التي تمولها المؤسسات الخيرية في الخليج العربي خاصة السعودية، والكويت، وقطر،

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وتشتمل المشاريع المساجد والآبار. ولاحظت أيضا حسن استغلال الطاقة الشمسية في بلدان بنين وقراها لتوليد الكهرباء ٧٠ . يظهر الرحالة بعض المواقف في أثناء وصف دولة بنين، بدأ بأغالبية المهنة الشائعة في دولة بنين وهي زارعة القطن، ثمّ توقف في وصفه ، قبل انتقاله إلى وصف المشاريع الخيرية الممولة بها في بنين مما يظهر جماليات الدولة من الحسن والبهاء والبهجة، ومن هنا يضطر إلى إيقاف قليل ، قبل سرد الطاقة الشمشية التس اشتغلتها حكومة جمهورية بنين لتوليد الكهارباء في البلد.

السرد الذاتي:

تروى الشخصية في السرد الذاتي الأحداث بحسب رؤيتها الذاتية وتنقل مشاعرها ومغامراتها وما تحب، وما تكره، وكل ما يتعلق بها. فهذا الأسلوب من السرد" يتيح للشخصية أن تواجه القارئ مباشرة فتتحدث إليه وتحاول دون وصاية أو توجيه من الشخصيات الأخرى، وتكشف عن نفسها بحرية مطلقة دون أن تنتظر من يحجب عن القارئ بعض أفكارها٧١. ويولد السرد الذاتي تشويقا يجعل المتلقى يتابع الأحداث، لرغبة الإنسان في الإطلاع على أخبار غيره إذ " يجعل ضمير المتكلم الملتقي يلتصق بالعمل السردي، ويتعلق به أكثر متوهماً أن المؤلف فعلاً هو إحدى الشخصيات التى تنهض عليها الرواية .٧٢

يمتاز السرد الذاتي بسمات فنية عديدة، ومنها آثار التشويق، وجذب المتلقى للإصغاء والمتابعة، وجعل الراوي يبوح عن مشاعره، وأفكاره بعفوية دون خوف، أو تردد، فلدى المتكلم رغبة في التعبير عن كوامن النفس وخفاياها للتخلص من التوتر، والإحساس بالراحة والأمان، ولا سيما إذا كان مهموما فتتلاشى الحواجز بين الراوى والمتلقى. وأهم حسنات السرد الذاتي إنه " يجعل الحكاية المسرودة أو الاحدوثة المروية مندمجة في روح المؤلف، فيذوب ذلك الحاجز الذاتي الذى كنا قد ألفيناه يفصل بين زمن السرد وزمن السارد.٧٣

ومن أسلوب السرد الذاتي في رحلة الأستاذ جمبا هو{ السرد الذاتي بضمير المتكلم}هو نوع من السرد الذاتي المتعلق بنقل المشاعر والأحاسيس. وفي هذا، يتولى الراوي هذا السرد، ونقل مشاعره، وصور أفعاله في مطالع الرحلات بضمير المتكلم. وحريٌ بالذكر هنا، أن صورة ضمير المتكلم في السرد الذاتي نوعان : ما يحتمل ضميرا متكلما ب{تُ، ني، بي }، وكذلك ما يحتمل ضمير الجماعة المتكلمين ب{نا}. ومن أمثلة هذا السرد بضمير المتكلم ، حيث يقول الرحالة :

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

نقلنى الأخ حسين موسى أريكيؤسولا في صحبة بنتى فريدة أجوكي إلى حيّ أولوجَى من حيث نقلنى صديقي الدكتور صالح جمهة ألاشو. ٧٤

وفي استقبالي الأخ هارون بن الشيخ بلّو وشقيقه عبد الرحمن، والأخ عمران أكوريدي، جاءوني بسيارة فاخمة ٧٥

استأنست بالدكتور الوقور لبعض الوقت حتى قبيل تحرك سيارتنا ٧٦

لقد خوفني الناس قبيل وصول المكان بأني سأحرم الدخول لعدم حملي جواز السفر أو البطاقة الوطنية ٧٧

أما أنا فلم أحمل سوى بطاقتي الشخصية من الجامعة.فلم ينطق الضابط بكلمة ، بل مررني بشيء من الاحترام ٧٨

ومن أمثلة ضمير الجماعة المتكلمين ب{نا}، يقول الرحالة :

استقبلتنا دولة النيجر بغبار كبير ، ذكّرنا بطريق شكي وإليشا بربا،٧٩

دخلنا مدينة نيامي بحمد الله في تمام ٦:٤٥ صباحا، وما أن دخلنا في طريق المطار حتى لاحظنا حضور رجال الأمن في كل مكان ٨٠

استأنسنا بهم وتحاورنا معهم لبعض الوقت، تناولتا الغداء في الساعة الثالثة، ثم قمنا بجولة قصيرة في الأحياء المجاورة للفندق ٨١

افتتحنا اليوم الثاني بصلاة الجماعة، ثم تناولنا الفطور، وغادرنا الفندق في تمام الساعة الثامنة قاصدين الجامعة الإسلامية بساي ٨٢

استقبلنا السيد رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور المنصف الجزار في مكتبه، ورحب بنا بكلمة طيبة وجيزة ٨٣.

الظاهرة الحوارية في رحلة الأستاذ جمبا إلى نيامي وساي

الحوار يعنى في اللغة الانجليزية ب"dialogue"، يعرفها عودة والرضا ب" الكلام الملفوظ المتبادل بين شخصيات القصة وتقع عليه مسؤولية نقل الحدث من نقطة إلى أخرى داخل النص. ويعد من الوسائل الهامة في السرد، فهو جزء هام في تكوين الشخصية ورسم الحدث وإنارة اللحظة التأريخية والحياتية التي يضطلع بها العمل القصصي. الأسلوب الحواري من أهم مقومات السرد وحيويته وتدفقه، يسهم في تصعيد الأحداث وإظهار الأفكار، والكشف عن هواجس الشخصيات ٨٤.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

لذا، نجد الحوار في أعمال الرحالة يؤدي دوراً مهماً، حيث يأتي السرد في أول المشهد تمهيداً تلتقي فيه الشخوص الأخرى، ثمّ يقوم الحوار بتوصيل العمل الدرامي إلى المتلقي. يتعلق الحوار بوصفه عنصراً تعبيرياً له أهمية كبيرة في بناء العمل الفني، ويلتحم مع بقية العناصر الأخرى المكونة لها، فنراه متحداً مع السرد والوصف ممتزجاً معها في تركيبه ٨٥. والحوار ينقسم إلى قسمين : الحورا الداخلي والحوار الخارجي

الحوار الداخلي في رحلة الأستاذ جمبا:

لقد يعرف أيرل الحوار الداخلي (Monologue) بتحليل الذات من خلال حوار شخصية مع نفسها، فتتوقف حركة زمن السرد الحاضر لتنطلق حركة الزمن النفسي في كل النواحي المختلفة، ويعبر عن تجربة البطل النفسية الداخلية تعبيرا شعوريا دون اعتبار لتسلسل الزمن الخارجي.٨٦. وهذا النوع من الحوار يأتي من شخصية واحدة وغالبا ما يكون من البطل حيث يحدّث نفسه بأفكاره الباطنية بالألفاظ غير المسموع وغير الملفوظ. وتتمحور وظيفتها عن خلق التطابق بين زمن السرد وزمن القصة من حيث مدة العرض. والجدير بالذكر، أن هذا النوع من الحوار نادر،حيث لم يواظفه الرحالة كثيرا إلا في موضعين فقط، ومن أمثلته ما يقول الأستاذ جمبا :

لقد خوفني الناس قبيل وصول المكان، بأني سأحرم الدخول لعدم حملي جواز السفر أو البطاقة الوطنية، فتلوت بلا عدد الآية الكريمة " رب نج نوحا في العالمين.." والآية الكريمة : لإن أنجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين، وأيقنت من الاستجابة . ٨٧

يا سيدي، أراك أستاذا جامعيا مثقفا، ولكنك سلكت مسلك المجرمين، فهب أنه تمّ القبض عليك في صحبة المخالفين لقوانين قسم الجوازات. هذا مسلك المهربين يا سيدي. حينذاك أدركت خطورة ما فعلت، فقدمت للضابط عذرا. ٨٨

الحوار الخارجي في الرحلة :

لا شكّ أن نوع هذا من الحوار كثير في رحلة الأستاذ جمبا، منها ما يجري بين شخصيتبن رئستين ، وهما الرحالة وشخص آخر، يتحاوران في موضوع خاص، ويُعبران عن مشاعرهما وأحاسيسهما،مما جعل محوار الرحلة مسرحاً لموضوع واحدٍ، فمن أمثلته ما يقول الرحالة

" ... وجاءني الدكتور سليمان لنغا، أحد علماء المدينة الشباب، تعارفنا حوالي ٢٠٠٩ حين قدم جامعة ولاية كوغي.....، اخذنا بأطراف الحديث حول شتى القضايا.." ٨٩

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

كنت جالسا مع الدكتور عبد الوهاب صلاح الدين، المحاضر بجامعة ولاية يوبي بنيجيريا وخريج الجامعة الإسلامية بساي، وهو على إلمام كبيربشؤون الدولة وسكانها وعاداتهم، فاتخذته دليلا خاصا ٩٠

ونوع آخر من أسلوب الحوار هو ما يجري بين الراوي يعنى الرحالة، وطائفة أخرى من الشخصيات الثانوية الذين تنيف عددهم ثلاثة أشخاص فصاعد، ويقول الرحالة :

ولما وصلنا قرية وسنغرى استجوب رجال الجوازات الفتيات الثلاث الجلسات في المقعد الخلفي، فكذبن أنهن ذاهبات لحضور حفلة زفاف بالنيجر، وهن في الحقيقة من قبيلة جوغُن بجمهورية بنين. لقد أوصاهن النساء النيجيريات بالكذب، كي لا يقبض عليهن فيرجعن إلى دولتهن، ضمن مساعى الحكومة للقضاء على آفة الاتجار بالبشر عبر الحدود الدولية.٩١

وفي أثناء استراحتنا في المطعم، قدم علينا أبناء الشيخ ألاويّي، وهم حوالي خمسة يدرسون في الجامعة الإسلامية والجامعات الأخرى بالنيجر،....أستأنسنا بهم وتحاورنا معهم لبعض الوقت، تناولنا الغداء في الساعة الثالثة، ثم قمنا بجولة قصيرة في الأحياء المجاورة للفندق، ثم رجعنا وقضينا ما تبقى من اليوم في استراحة ٩٢.

قام الدكتور أبولاجي بدور الريادة، ثم ألقى كلمة موجزة...وبعده ألقى الأستاذ كوناتي سالف، رئيس نادى الأساتذة كلمة موجزة، وولى ذلك كلمة رئيس الجامعة... ، في تمام ١٠:٣٠ ، بدأ إلقاء المقالات، وكنت أول من ألقى في القاعة الثانية.٩٣

معجم رحلة دولة النيجر

ذكر الرحالة بعض الكلمات الزبرماوية (قوم في دولة النيجر) التي التقطها في أثناء ترحاله وتجوله وسفره. وتعدّ هذه الكلمات مع معانيهم معجما خاصا لرحلة الرحالة إلى دولة النيجر، ومنها ما يلي:

كيف حالك ؟ - matenigo

تعال وكل معى – ka kagna

تعال - ka

اذهب -sobai

إلى أين تذهب؟-maga noni go ki kwai

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

إجلس -goro

قم - tunkai

كم؟ -marjai

صديقي – i chora

كم الساعة؟-gurumarjai

ما اسمك ؟-ifo ki chi nima

ليست هناك مشكلة –masala sino

نعم-ao

لا – ha a

أنا تعبت – 94 ifar ga

الخلاصة / الخاتمة

اكتشف هذا البحث اللّثام عن أدب الرحلة الذي أصبح فنّا أساسيا في الفنون الأدبية، وجذّب اهتمام الكتّاب والرحاليين في سجل الحوادث والوقائع والمشاهدات التي وجدوها في رحلاتهم لغرض التعليم والتثقيف حتى أصدروا كتبا قيّمة متنوعة مفحومة بوصف رحلاتهم، كما كان شائعا عند العرب وبعض البلدان غيرعربيّ. ولقد أسند الكتّاب مبادئ أدب الرحلة إلى العصر الجاهلي، حيث كان العرب الأوائل في الجاهلية اهتمام كثير بالرحلة وبالرغم تنوعها، مثل الرحلات التجارية المشهورة في العصر الجاهلي إلى بلاد العراق واليمن والشام وغيرها، وكذلك الرحلات التي التجأ إليها المسلمون في عصر صدر الإسلام في فتح البلدان شرقا وغربا، إضافة إلى تلك الرحلات الحج ولطلب العلم، وسجّلوا ودوّنوا انطباعاتهم ومشاعرهم ومشاهدتهم، واستمد هذا إلى جميع العصور العربية والمستعربين. والجدير بالذكر، أن اهتمام علماء نيجيريا بأدب الرحلة بدأ في القرن العشرين، لما بدأ بعض علماء نيجيريا بوصف أحداث سفرهم ورحلاتهم خارج البلاد، وكتابة الأشياء التي وجدوها وسمعوها من أهالي البلاد التي سافروا إليها من الدول الأفارقة والآسيا والأوروبا وغيرهم، وسجلوها ودوّنوها نثرا وشعرا لإفادة القراء والباحثين كما وجدناها عند الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ عبد الله بن فودي،الشيخ الوزير جنيد بن محمد البخاري، و الشيخ آدم عبد الله

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الألوري، والشيخ أبوبكر عتيق الكشناوي، والشيخ محمد الناصر بن المختار كبرا، والشيخ الإمام محمود بن بللو بن إدريس، والشيخ الأستاذ الدكتور مشهود محمود محمد جمبا وغيرهم.

علاوة على هذا، لقد عالج هذا البحث المعنون ب "الظواهر السردية والحوارية في أدب الرحلة النيجيرية ": :إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي "لأستاذ الدكتور مشهود جمبا نموذجا. ومن خلال هذا، تحدث الباحث عن مفهوم السرد والحوار في الأدب العربي، وكذلك عن مفهوم ومبادئ وأهمية ودواعي أدب الرحلة في الأدب العربي. وناقش أيضا عن مبادئ أدب الرحلة في الأدب العربي النيجيري مع ذكر نبذة ترجمة الأستاذ الدكتور مشهود محمود جمبا وإسهاماته الأدبية . وخاتم هذا البحث باستخراج الظواهر السردية والحوارية في كتاب إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي التي تتسرح من سرد مكونات الرحلة، سرد الأحداث، سرد الشخصيات، سرد الأزمان ، سرد الأماكن، سرد الوقف، سرد الذات، وأنواع الحوار وغيرها،وختم بمعجم الرحلة . ختاما، اكتشف الباحث بأن كتاب إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي مليئ بعدّة فنيّة التي لو يقوم الباحثون بدراسته سيثرى تراث الأدب العربي النيجيري.

المراجع

إبراهيم مصطفى وآخرون (د.ت) ، المعجم الوسيط، تحقيق، مجمع اللغة العربية،ج٢، دار الدعوة

ابن فارس (١٩٩١) ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون،ج٢،ط١، دار الجيل ، بيروت

ابن منظور (د.ت) ، لسان العرب، مج ١١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

أحمد مختار عمر وآخرون (٢٠٠٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج ١، ط١، عالم الكتب ، القاهرة.

آدم عبد الله الإلوري (٢٠١٢): موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة ط٣ القاهرة .

الزبيدي (د.ت)، تاج العروس، ج٧، دار صادر، بيروت.

أيرل ليول (١٩٦٨)، القصة السيكولوجية، ط١، بيروت، المكتبة الأهلية، برنس.

بشير أمين ، تقنيات السرد الرحلي لدى مشهود محمود جمبا: دراسة في ضوء المنهج البنيوي، مجلة في دراسات في السردانية العربية.

بروقبة مريم (٢٠١٣)، أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا، بحث قدمه لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي.

خليل الله محمد بودوفو (٢٠٢٠) ، الرحلة في الأدب العربي النيجيري: دراسة تحليلية نقدية (Islamic University Multidisciplinary Journal.)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

شيخو أحمد سعيد: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط٣ المكتبة الإلفريفية، القاهرة، ٦١٦١هـ ٦٨٨٢م

شوقي ضيف (١٩٥٦)، الرحلات، دار المعارف، القاهرة

عبد الله بن فودي: تزيين الورقات بجمع بعض مالى من الأبيات، مخطوطة

عبد الله إبراهيم (١٩٨٨)، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة،ط١، بغداد

عبد الحميد جودة السحار (د.ت) : القصة من خلال تجاربي الذاتية، معهد الدرسات العربية العالمية، بيروت

عبد الملك مرتاض (١٩٩٨)، في نظرية الرواية، سلسلة كتب ثقافة شهرية، العدد ٢٤٠، الكويت.

عودة، جبار و عبد الرضا، ياسني كريم (٢٠١٦) "أساليب السر القصصي ووسائله في القصصر"مجلة المنتدي" العدد

عزالدين أديتنجي((٢٠١٧) ، ظاهرة السرد والحوار في مقامات الإلوري، دراسة تحليلية أسلوبية، المعارف، مجلة اللغة العربية والدراسات الإسلامية،كلية العلوم،جامعة عمر موسي يرأدوا، كشنة، نيجيريا

مريدن، عزيزة ،(١٩٨٠) القصة والرواية، دمشق: دار الفكر، د.ط.

مشهود محمود محمد جمبا ، إفادة الأنام بأخبار الرحلة إلى ساي ونيامي، ٢٠١٩، مطبعة ألبي للنشر والتوزيع، إلورن

محمد بللو بن عثمان بن فودي (د.ت): إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور،

مصلح الدين يوسف المرتضى القروي (٢٠١٥)، دراسة فنية لأدب الرحلة لدى بعض علماء إلورن، مقالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية للسمينار ، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY